

التفرد بين الجنسين في الإسلام وأهمية الآباء

أ. محمد الشناوي وَ د. طاهر خواجة
ترجمة: أ. محمود مصطفى الحكيم -كاتب ومترجم
لينكد إن: mahmoud-mostafa-elhakem
https://www.linkedin.com/mwlite/in/mahmoud-mostafa-elhakem

مقدمة

كانت مطالبة القرآن والسنة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- الرجال بأن يعترفوا أن النساء يساوونهم في الكرامة الإنسانية(١)، والحُرمة(٢)، والحق في النجاة(٣)، والسعي لرضا الله(٤)، وأن لهن فرص القيام بمساهمات مجتمعية(٥) ثورية. وقد شهد رفيقه الأكثر تأثيرًا، عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه: «في الجاهلية (عصر ما قبل الإسلام)، ما كنا نعد للنساء أمرًا. ولكن عندما جاء الإسلام، وذكرهم الله؛ جعلنا هذا ندرك أن لهن حقوقًا علينا... »(٦). هذه النقلة النوعية التي شهدها عمر والمسلمون الأوائل انتشرت في نهاية المطاف في جميع أنحاء العالم، رغم أن العديد من المجتمعات خارج نطاق الحضارة الإسلامية استغرق هذا التحول فيها أكثر من ألف عام. ومع ذلك، يبدو من الصعب أحيانًا في هذه الأيام التوفيق بين مفهوم حقوق المرأة والصفات المميزة لكل جنس(٧). وقد شكل الافتراض واسع الانتشار بأن الرجال والنساء متطابقون بشكل تام مع عدم وجود فوارق تتبع هذا الاختلاف بينهما عائقًا رئيسيًا أمام تحقيق المساواة بين الجنسين في عصرنا. هذه الورقة تقيم هذا الافتراض وبعض تداعيته الخطيرة لا على النساء فقط، ولكن أيضًا على علاقة الأب بالطفل.

---

(١) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾. الحجرات [١٣].

﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَـٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَـٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾. الإسراء [٧٠].

(٢) ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾. التكوير [٨-٩].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَـٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَـٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ﴾. النور [٤].

(٣) ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّـٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾. التوبة [٧٢].

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَـٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾. الحديد [١٢].

﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾. الفتح [٥].

(٤) ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾. النساء [١٢٤].

﴿مَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. النحل [٩٧].

﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾. غافر [٤٠].

(٥) ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾. التوبة [٧١].

(٦) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية، رقم ٥٠٥٥.

(7) Bruce Goldman, "Two Minds: The Cognitive Differences between Men and Women," Stanford Medicine, Spring,2017, https://stanmed.stanford.edu/2017spring/how-mens-and-womens-brains-are-different.html


العدد العاشر - تصدر عن مركز دلائل | ٥

الفروق بين الجنسين

قد تكون فكرة الفروق بين الجنسين بغيضة بالنسبة للبعض هذه الأيام، ولكن الإسلام يطالب بأن نعترف بها كواقع هام. يقول الله -تعالى-: (وليس الذكر كالأنثى). (النساء). [٣٦]. إن رفض الاعتراف بالاختلافات التي خلقها الله في الكون، بما فيها الاختلافات بين الجنسين لا يتعارض فقط مع الحقائق المقدسة البينة، بل يضرب أيضًا أساس الأسرة والمجتمع.

أي مناقشة للفروق بين الجنسين في الإسلام ينبغي أن تسبقها كلمات النبي -صلى الله عليه وسلم-: (النساء شقائق الرجال)(٨). يبين الخطابي -رحمه الله- (٩٩٨) أن من بين المعاني المقصودة هنا هو أن أي حكم شرعي في الإسلام ينطبق تلقائيًا على الذكور والإناث ما لم يوجد دليل نصي يثبت اختلافًا. (٩)

بعض هذه الاختلافات تتعلق بالشعائر مثل أن النساء يعفين من الصلاة والصيام أثناء الحيض والنفاس. وبعضها الآخر يتعلق بالمجال الاجتماعي؛ مثل التعامل بين الرجال والنساء في المجتمع.

يتفق العديد من المسلمين وغير المسلمين -صراحةً أو ضمنًا- على أن هناك اختلافات جوهرية بين الذكور والإناث، رغم أنهم قد يختلفون في الرأي ويتعرضون لقلق حاد حول موضع هذه الاختلافات، وما قد تعنيه، وكيف تقام العدالة في ضوئها. بالنسبة للمسلمين الذين تعتبر مرجعيتهم العليا خالق الذكور والإناث (لا ذاتية الإنسانية العلمانية)، وهو العادل الذي كلف البشر باحترام العدالة، يكون من المتوقع أن بعض الحقائق الأولية عن الوجود، وعن طبيعتنا الإنسانية، وحقوق ومسؤوليات كل منا تحدد بوضوح تمامًا كما هي في القرآن والسنة الصحيحة.

ربما يكون التحدي الأكبر الذي يواجه الاعتراف بالفوارق بين الجنسين اليوم هو ميل المجتمعات الحديثة إلى قياس قيمة النساء اليوم بمقارنتهن بالرجال، بدلًا من مقارنتهن بأفضل النسخ الممكنة من أنفسهن. (أقصى إمكاناتهن). الآثار الاجتماعية والنفسية والعاطفية السلبية لهذه المقارنة المضللة مروعة. تشجيع النساء على تقدير قيمتهن الذاتية بمقارنتها بالرجال ضرر جسيم بالمرأة والمجتمع؛ لأنه يستند إلى الاعتقاد بأن عمل الرجال أكثر قيمة من عمل النساء. وما فعله هذا التفكير في الواقع أن جعل الذكر المثل الأعلى الذي ينبغي أن يتطلع إليه كلًا من الرجال والنساء. المرأة التي تطمح إلى أن تكون مثل الرجل -كمثلها الأعلى- لا تؤدي إلى تآكل مواطن قوتها الأنثوية فحسب، بل يجعلها هذا في مفارقة مأساوية تطارد الأهداف التي وضعت من قبل الرجال ولأجلهم. وسواء أكانت المرأة تطمح إلى أن تكون من جنود المشاة البحرية الأمريكية(١٠)، أو أي شيء آخر تسعى من خلاله لإنكار الفروق بين الجنسين فهذه المطامح تنطوي على العيش في ظل شخص آخر.

يقدم الإسلام للمرأة حرية أكثر معقولية من خلال الإصرار على أن للمرأة قيمة بطبيعتها وأنها تقدم مساهمات أنثوية بدونها لا يمكن لمجتمع صحي أن يزدهر. عندما كان العرب معتادون على دفن بناتهم الرضع أحياء معتبرين إياهم مسؤولية مخزية (مقارنة

(٨) مسند أحمد، رقم ٥٨٩٦. سنن الترمذي رقم ١٠٥. سنن أبي داود رقم ٢٠٤. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٩٦. ٦٨٠:٦. رقم ٢٨٦٣.

(٩) الخطابي، معالم السنن، المجلد الأول، حلب، المطبعة الحلمية، ١٩٣٢، ٧٩.

(10) Ryan Browne, "Female Marine Drops Out of Infantry Course," CNN News, August 16, 2016, https://edition.cnn.com/2016/08/15/politics/female-marine-infantry-course/.

بالفتيان الذين بإمكانهم القتال والكسب)، لم يدافع النبي -صلى الله عليه وسلم- عن قضية المرأة بإقرار المقياس الخاطئ الذي استخدمه المجتمع في ذلك الوقت. لم ير بأن النساء ينبغي تكريمهن لأنهن كن أقوياء جسديًا في المعركة مثل الرجال، أو لأن بإمكانهن تحقيق نفس القدر من الفوائد الاقتصادية للقبيلة مثل الرجال. وبدلًا من ذلك، أصر على أن يقدرن بسبب طبيعتهن المختلفة. وذكرنا -صلى الله عليه وسلم- بالعطف على أمهاتنا ثلاث مرات قبل الآباء. ويسلط القرآن الضوء على أن الاحتفاء بالأمهات يبرره فضائل الأعمال التي يلتزمن بها تجاه أبنائهن من حمل، وولادة، ورضاع، وفطام.(١١)

وعلمنا-صلى الله عليه وسلم- أن تربية ابنتين بحرص من شأنه جعل الشخص قريبًا من أفضل أنبياء الله في الجنة(١٢). وأن قيمة الرجل عند الله ترتبط ارتباطًا وثيقًا بكيفية معاملته لزوجته وراء الأبواب المغلقة(١٣)، وكيف يحمي عائلته بتفان من المخاطر(١٤).

للأسف، العديد من مناقشات حقوق المرأة في العصر الحديث تردد نفس العقلية المادية البالية التي جاء الإسلام لعلاجها. في هذه النظرة العالمية السعي وراء مهنة مربحة ماليًا الطموح الوحيد الجدير بالاهتمام، في حين أن اختيارات مثل التخصص في الأمومة أو التدبير المنزلي يُقَلل منها. ولهذا السبب نجد أن الحياة المكرسة للأمومة وأعمالها البطولية أصبح ينظر إليها من قبل الكثيرين على أنها هدر ذريع؛ لأنها لا تؤدي إلى النمو الاقتصادي.

وقد وصفت Mayo Clinic إثقال النساء بالعبء والتقليل المستمر منهن، في مقالة صدرت مؤخرًا بعنوان (الاكتئاب عند النساء: فهم الفجوة بين الجنسين)، والتي تذكر، أن: (إصابة النساء بالاكتئاب حوالي ضعف عدد إصابة الرجال، وأن هناك عدة عوامل قد تزيد من احتمالية إصابة النساء بالاكتئاب.. فغالبًا ما تعمل النساء خارج المنزل ومع هذا يتحملن مسؤوليات المنزل أيضًا. وتتصدى العديد من النساء لتحديات إعالة الأسرة منفردات؛ مثل العمل بوظائف متعددة لتغطية النفقات. أيضًا، قد تقوم النساء برعاية أطفالهن بينما يقمن أيضًا برعاية المرضى أو كبار السن من أفراد الأسرة)(١٥). وتقترح المقالة أيضًا أن التغيرات الهرمونية في مختلف مراحل حياة المرأة (الحمل، والنفاس، وانقطاع الطمث، وما إلى ذلك..) المصحوبة بمثل هذه الضغوطات، قد تساهم في ارتفاع معدلات الإصابة بالاكتئاب في النساء أكثر من الرجال.

ومن المؤكد أن قيمة المرأة لا ترتبط بالحمل والأمومة. العديد من النساء التقيات لم يلدن أطفالًا، ومنهن السيدة عائشة -رضي الله عنها-، والتي على صدرها لفظ حبيبنا النبي -صلى الله عليه وسلم- أنفاسه الأخيرة، ولإسهاماتها الفكرية الهائلة سيظل المسلمون مدينون لها. كما لا يقلل من قيمتها عدم قدرتها على جذب أفضل الخاطبين لها، لئلا نستهين ببعض ممن هن أكثرهن تقوى عبر التاريخ ممن لم

(١١) (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ). لقمان [٤١].
(وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ). الأحقاف. [٥١].

(١٢) روى أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من عالَ جاريتينِ دخلتُ أنا وَهوَ الجنَّةَ كَهاتينِ وأشارَ بأصبُعَيْهِ). صحيح مسلم، رقم [2631].

(١٣) روت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: (خيرُكم) عند الله (خيرُكم لأهلِه) أزواجه (وأنا خيرُكم لأهلي). سنن الترمذي، رقم [٣٨٩٥]. صححه الألباني.

(١٤) تم اقتباس هذا المقطع من تعليق على وسائل التواصل الاجتماعي وجدته مثيرًا للفضول، لذلك قمت بحفظه على عجل بدون التحقق من صاحبه لمنحه الفضل المستحق هنا. أسأل الله أن يسعد صاحبه بإيجاد هذا المقطع في ميزان حسناته.

(15) Mayo Clinic, “Depression in Women: Understanding the Gender Gap,” Mayo Clinic, January 29, 2019, https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/depression/in-depth/depression/art-20047725.



يتزوجن قط، أو أولئك اللاتي تزوجن من مفسدين؛ مثل آسية -رضي الله عنها زوجة فرعون. لكن، على نحو مشابه جعل الغرض النهائي للإنسان أي أهداف مادية، شيء خلق الناس جميعًا -رجالًا ونساءً- لتجاوزه. (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ). الذاريات. [٥٦].

إن سيل الرسائل التي تتردد في مجتمع مادي لا يجعل فقط بعض النساء يستخففن بالأمومة، لكن يجعل أيضًا بعض الرجال يشعروا بانخفاض القيمة عندما يشعرون بأن كل ما يقومون به هو إعالة أسرهم (فقط)، من خلال أي وظيفة يمكنهم الحصول عليها. ومثلما يجد النساء أنفسهن غير راضيات عندما يقارن أنفسهن بالرجال من حيث العمل خارج المنزل والقدرة على الكسب، يشعر العديد من الرجال بالغضب عندما ينافسون بعضهم البعض في سباق الفئران من أجل الحصول على وظائف ذات راتب أعلى ومناصب أكثر بريقًا. يوضح هذا المأزق جانبًا آخر للحرية في الإسلام، وهو أنه: لا ينبغي أبدًا قبول الثروة المادية كعامل حاسم للقيمة في مجتمع عادل. كل البشر لهم قيمة ومكرمون بحكم إنسانيتهم، ثم يتمايزون أكثر في ضوء إخلاصهم لله، وكيف يتصرف كل منهم بإمكانياته الفريدة التي وهبها الله له.

تجربة عدم وجود أب

نشهد هذه الأيام مأساة غياب للآباء تتبدى فصولها أمام أعيننا ينظر فيها البعض للآباء على أنهم مجرد مساهمين بيولوجيين يهجرون أطفالهم، أو في أفضل الأحوال ممولين غير مشاركين. وفقًا لدراسة أجراها مركز بيو للأبحاث حول العائلة الأمريكية اليوم، تعاني العائلة التي يتواجد فيها كلا الأبوين من تناقص سريع في الولايات المتحدة، ويشكل الأطفال المولودين خارج نطاق الزوجية ثلث المواليد منذ عام ٢٠٠٠.

هذا التحول الجذري من نموذج الأسرة التقليدي ليس إعادة ترتيب غير مؤذية: فالأطفال بلا آباء معرضون بشكل كبير لخطر تعاطي المخدرات، والكحول، والأمراض العقلية، والانتحار، والأداء التعليمي الضعيف، والحمل في سن المراهقة، والانخراط في أنشطة إجرامية. نسبة مهولة تبلغ ٨٠٪ من المراهقين في المصحات النفسية ينحدرون

مـن أسـر لا أب فيهـا(١٦)، وتتضاعـف احتماليـة تعـرض الأطفـال للاعتـداء الجنسـي (خاصـة الفتيـات) فـي منـازل خاليـة مـن الأب البيولوجـي(١٧). وفيمـا يتعلـق بعنف الشباب (ترتبـط نسبة الأسـر ذات الوالـد الواحـد والتـي فيهـا أطفـال تتـراوح أعمارهـم بيـن ١٢-٢٠ عامًا ارتباطًا كبيـرًا بمعـدلات جرائم العنـف والسطو) (١٨).

ووفقًـا لتقريـر خـاص أصدرتـه وزارة العـدل الأمريكيـة فـي عـام ١٩٨٨، فـإن ٧٠٪ مـن الأحـداث فـي المؤسسـات التـي تديرهـا الدولـة كان آباؤهـم غائبيـن(١٩). ويبيـن البحـث الـذي أجـري فـي جامعـة هارفـارد كيـف أن بعـض هـذه الأزمـات فـي النمـو قـل أثرهـا -بشـكل جزئـي لا كلـي- فـي العائـلات الأمريكيـة الأفريقيـة؛ لأن شـخصيات ذكوريـة أخـرى مـن العائلـة الكبيـرة ستظل مشـاركة فـي كثيـر مـن الأحيـان، خاصـةً عندمـا تمحـى شـخصية الأب مـن الصـورة لأسـباب مختلفـة. ويحـدث هـذا بشـكل أقـل فـي الأسـر القوقازيـة ويرتبـط بنتائـج أسـوأ لهـؤلاء الأطفـال الذيـن لا أب لهـم(٢٠).

ومـع ذلـك، وفقًـا لأطروحـة الدكتـوراه لجنيفـر شـوارتز، فحتـى وجـود أسـرة متعـددة الأجيـال، أو رأس مـال ذكـوري أعلـى (عـدد أكبـر مـن الذكـور) فـي المجتمـع، لا يـزال لا يخفـف مـن آثـار غيـاب الأبـوة.

(تسـتمر الآثـار الضـارة لغيـاب الأب علـى العنـف بالنسـبة للإنـاث والذكـور، حتـى بعـد مراقبـة مؤشـرات الحرمـان الهيكلـي وآليـات الرقابـة الاجتماعيـة. وعلـى الرغـم مـن أن رأس المـال الذكـوري والرعايـة الجماعيـة يمكـن أن يعوضـا بعـض أوجـه القصـور المجتمعيـة المرتبطـة بانتشـار غيـاب الأب، فـإن غيـاب الأب لا يـزال يسـبب آثـارًا هائلـة ومدمـرة علـى معـدلات العنـف المصنفـة حسـب نـوع الجنـس)(٢١).

وعلـى نحـوٍ مشـابه، ورد فـي المجلـة الأوروبيـة للسـكان فـي عـام ٢٠٠٧ أن وجـود الأجـداد فـي بيـت متعـدد الأجيـال لـم يخفـف بالكامـل مـن العلاقـة السـلبية بيـن انعـدام الأبـوة والأداء الأكاديمـي، وخاصـةً فـي الرياضيـات(٢٢).

ورغـم أن هـذه الإحصائيات قـد يكـون إلـى حـد كبيـر مصدرهـا عائـلات الآبـاء فيهـا متزوجـون لكـن غائبـون (بطريقـة أو بأخـرى)، أو مطلقـون، أو لـم يسـبق لهـم الـزواج، أو أنـواع أخـرى مـن العلاقـات خـارج إطـار الـزواج، فـلا ينبغـي أن نقلـل مـن شـأن التأثيـرات الضـارة الناتجـة عـن تناقـص دور الآبـاء فـي المجتمـع. يذكـر وبـاء غيـاب الآبـاء الحالـي المسـلمين بمـا ينبغـي أن يكونـوا علـى معرفـة بـه بالفعـل؛ وذلـك لأن خالقنـا كثيـرًا مـا يلفـت انتباهنـا إلـى التفاعـل الديناميكـي بين الأضداد في عالمه: (وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ). سـورة الليـل. [١-٤].

إن وجـود الأشـياء التـي يكمـل بعضهـا بعضًـا كالليـل والنهـار، الذكـر والأنثـى، حتـى الخيـر والشـر، يجعـل منهـا كلهـا مكونـات ضروريـة للتـوازن فـي الكـون. وبتوسـيع نطـاق هـذا ليشـمل الأبـوة والأمومـة، فكمـا لا يسـتطيع الآبـاء أبـدًا أن يقدمـوا لأطفالهـم كل مـا يمكـن للأمهـات أن يقدمـوه، فالأمهـات لا يسـتطعن أبـدًا أن يقدمـن لأطفالهـن كل مـا بإمـكان الآبـاء تقديمـه.

(16) Jack Block, Jeanne H. Block, and Per F. Gjerde, "Parental Functioning and the Home Environment in Families of Divorce," Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry 27, no. 2 (1988): 207–13.

(17) Beverly Gomes-Schwartz, Jonathan Horowitz, and Albert P. Cardarelli, Child Sexual Abuse Victims and Their Treatment (Washington, DC: U.S. Department of Justice, Office of Juvenile Justice and Delinquency Prevention,1988).

(18) Bryan J. Grapes, ed., Violent Children (San Diego, CA: Greenhaven Press, 2000), http://www.demes.teimes.gr/spoudastirio/E-NOTES/V/Violent_Children_Viewpoints.pdf.

(19) Steve Blake, memo to the members of the Legislative Study Committee on Child Placement and Support, September24,2018

https://docs.legis.wisconsin.gov/misc/lc/study/2018/1785/020_september_25_2018_meeting_10_00_a_m_room_412_east_state_capitol/sept25blake_dadsofwi.

(20) Christine Cross, "The Myth of the Two-Parent Home," New York Times, December 9, 2019,

https://www.nytimes.com/2019/12/09/opinion/two-parent-family.html?fbclid=IwAR3aWlfH-VOJ_RpT2a4k3CLKz BvbaXOXkujkVr5pltXmQgImGlaZ9eazQJs#click=https://t.co/oPJQGTCrsB.

(21) Jennifer Schwartz, "The Effect of Father Absence and Father Alternatives on Female and Male Rates of Violence" (PhD diss., Pennsylvania State University, August 2003), https://www.ncjrs.gov/pdffiles1/nij/grants/206316.pdf.

(22) Jonas Radl, Leire Salazar, and Héctor Cebolla-Boado, "Does Living in a Fatherless Household Compromise Educational Success? A Comparative Study of Cognitive and Non-Cognitive Skills," European Journal of Population 33, no. 2 (May 2017): 217–42, https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5400797/.

ضرورة الوحي الإلهي

قـد تواجـه مثـل هـذه الحقائـق الأساسـية اليـوم تحديـات مـن جانـب الفكـر العلمانـي الحديـث، حيـث يقبـل الكثيـرون «العقـل المتفتح» (الأوبن مايند) و«العقـل البشـري الموضوعـي» باعتبارهمـا السـلطات العليـا. إن تبنـي العقـل الموضوعـي ليـس خطـأً طالمـا يعتـرف بمحدوديتـه وتحيزاتـه(٢٣).

تأمـل النقـاش حـول النـوع الاجتماعـي علـى سـبيل المثـال؛ الحياديـة شـبه مسـتحيلة لأن الأطـراف المتنازعـة هـم القضـاة. هـل هـي صدفـة أن النسـاء نـادرًا مـا يصرخـن بوجـود الظلـم عندمـا يسـمعن حديـث رسـول الله -صلـى الله عليـه وسـلم- عـن (البـر بـالأم ثـلاث مـرات)؟ هـل هـي صدفـة أن الرجـال نـادرًا مـا يصرخـوا بوجـود الظلم عند سـماع (آيـات القوامـة)؟ عندمـا ينشـأ رد فعـل سـلبي علـى هـذه النصـوص، فإنـه عـادةً مـا يكـون مـن الجهـة المقابلـة، التـي يولـد تحيزهـا تصـور خاطـئ عـن الظلـم فـي هـذا النـص المقـدس الـذي لا تشـوبه شـائبة. حتـى بيـن أولئـك الذيـن يحاولـون الفـرار بنبـل مـن تحيزاتهـم، يتعثـر البعـض فـي التحيـز المعاكـس. يمكـن أن يـؤدي التركيـز المفـرط علـى التحيـز الفطـري إلـى الجهـة المعاكسـة تمامًـا.

وتأمـل كيـف أن بعـض النسـاء للإفـلات مـن تحيزهـن الافتراضـي المؤيـد للمـرأة، فإنهـن يسـتنكرن بعـض التظلمـات النسـوية المشروعة للغايـة، أو محاولات بعـض الرجال الهـرب مـن التحيـز ضـد المـرأة فيسـممون بعـض المُثـل الذكوريـة النبيلـة. وكمـا يقـول المثـل الشـهير: (عندمـا سـقط الفـأس فـي الغابـة، صرخـت الأشـجار لكـن المقبـض مِنّـا). وفـي الحقيقـة، فـإن الله وحـده هـو القـادر علـى التقييـم العـادل، بـكل حكمـة وحيـاد؛ لأنـه هـو الـذي يتفـوق علـى التحيـز والبقـع العميـاء للفكـر البشـري. (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ).

التكيـف الثقافـي يعمـل علـى تحييزنـا أيضًـا. لـم تتبلـور مشـاعرنا ومعاييرنـا التقييميـة فـي الفـراغ. لنأخـذ تصورنـا المعاصـر للأبـوة علـى سـبيل المثـال؛ لـم يتـم بنـاؤه بشـكل مسـتقل عـن الآبـاء المغفليـن الذيـن نشـأنا ونحـن نشـاهدهم. هومـر سمبسـون هـو مهـرج معتمـد. شـخصية الأب فـي Family Guy منحطـة. فـي Everybody Loves Raymond يتهـرب الأب مـن كل الواجبـات مـن أجـل لعـب الجولـف. فـي Stranger Things والـد ويلـرز غافـل عـن أولئـك الذيـن يعيشـون تحـت سـقفه. فـي the Fresh Prince of Bel-Air لا يعـود والـد ويـل إلا مـن أجـل إخافتـه لمـرة أخيـرة. لقـد صـاغ هـذا السـرد تصـور الرجـال عـن أنفسـهم؛ لأن الفـن والأدب لطالمـا كانـا يوجهـان الثقافـة وليسـا مجـرد وصـف لهـا. تشـرب بعـض الرجـال هـذه الروايـة، وأصبحـوا آبـاء هاربيـن وعاكفيـن علـى أجهـزة الفيديـو. وقـرر كثيـرون آخريـن أن يفضلـوا تجنـب الأبـوة علـى أن يكونـوا فقـراء فيهـا.

وباسـتكمال السـمية من تطبيقـات المواعدة التـي لا نهايـة لهـا فـي عصـر الهواتـف المحمولـة، نحـن نواجـه الآن آثـارًا مدمـرة لجعـل الدعـارة أمـرًا طبيعيًـا، والتـي فصلهـا مـارك ريجنيـروس فـي كتابـه:

Cheap Sex: The Transformation of Men, Marriage, and Monogamy.

كان هناك منحنـى تاريخـي علـى شـكل حرف U يتعلـق بشـدة تصويـر وسـائل الإعـلام لـلأب علـى أنه جاهل أو بليد بيـن ١٩٤٠ والآن(٢٤). يبـدو أننـا علـى قمـة هـذا المنحنـى فـي الوقـت الحاضـر، ورغـم أن الآثـار الضـارة لهـذه

(23) See Omar Edward Moad, "Honored Since Adam: Islam and the Value of Human Freedom," Yaqeen Institute for Islamic Research, October 23, 2017, https://yaqeeninstitute.org/omar-edward-moad/honored-since-adam-islam-and-the-value-of-human-freedom/#.XegVqXt7nb0.

(24) Ralph LaRossa, Charles Jaret, Malati Gadgil, and G. Robert Wynn, "The Changing Culture of Fatherhood in Comic-Strip Families: A Six-Decade Analysis," Journal of Marriage and Family 62, no. 2 (May 2000):375-87, https://onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1111/j.1741-3737.2000.00375.x.

المبـادئ المتغيـرة علـى الأسـرة لـن تـدرك بالكامـل لجيـل آخـر، فـإن دوامــة الانحـدار الاجتماعـي تسـتمر بـلا هـوادة. ونحـن نـرى بالفعـل كيـف أن الحريـات الجنسـية ولـدت الوحـدة ونقـص رعايـة كبـار السـن، وزيـادة الافتـراس، وانخفـاض المسـاءلة الاجتماعيـة، والأهـم مـن ذلـك، أدت إلـى عـدم الاهتمـام بنظـر الله.

ولـن يتسـنى لنـا الإفـلات مـن هـذه الفوضـى إلا بالخضـوع لحكمـة الله، وسـلطانه (الإسـلام). (أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ). الملك. [١٤]. إن هدايـة الله وحدهـا هـي التـي بإمكانهـا أن تمنـع تشـويش الدور، واضطـراب الهويـة الـذي يولـد الأزمـات الأسـرية والفوضـى الاجتماعيـة. كمـا أن الطبيعـة المحـدودة لهـذا العالـم، خاصـةً الخطـاب الاسـتهلاكي الحديـث تـؤدي إلـى الجشـع(٢٥) وأكل القـوي للضعيـف، وهـذا هـو السـبب فـي أنـه فقـط مـن خـلال إعـادة توجيـه مسـاعينا نحـو رحمـة الله اللانهائيـة يمكـن أن يكـون هنـاك الكثيـر لـكل طالـب. وعندئـذ فقـط يمكـن للبشـر أن يهربـوا مـن صـراع السـلطة المُعَطّـل بيـن الغنـي والفقير، والقـوي والضعيـف، والرجـل والمـرأة.

وخلاصـة القـول، إن الأدوار الأساسـية للرجـل والمـرأة فـي الأسـرة متمايـزة، ولـذا لا ينبغـي أن تكـون حـول مـن يمكنـه التفـوق علـى الآخـر فـي العمـل المكلـف بـه، ولكـن مـن يمكنـه أداء واجباتـه التـي فرضهـا الله عليـه بأفضـل ممـا طلـب منـه. بالنظـر إلـى الخصائـص المميـزة وسـمات الرجال والنسـاء، فالرجـال مكلفـون بـأن يكونـوا مصـدر الدخـل الرئيسـي والقـادة(٢٦) بينمـا تكلـف النسـاء بـأن يكـن الراعيـات الرئيسـيات والمربيـات.

هنـاك اسـتثناءات رئيسـية وهامـة تتعلـق بالصفـات الفرديـة أو وجـود احتيـاج أكبـر، كمـا نذكـر فـي هـذه الورقـة، حتـى فـي زمـن الرسـول -صلـى الله عليـه وسـلم-، لكـن هـذه هـي أكثـر الترتيبـات حكمـة لهـذا العالـم التـي وضعهـا الخالـق الأكثـر عـدلًا، ورحمـة، وحكمـة.

مـن حكمـة الله ورحمتـه أنـه خلـق الرجـال والنسـاء بطبيعـة مترابطـة، والتـي مـن خلالهـا يجـدون أهميتهـم فـي بعضهـم البعـض، وهـي أهميـة يمكـن لهـا أن تحقـق التـوازن والهـدوء فـي علاقاتهـم، لأطفالهم، وفـي المجتمـع ككل. ولضمـان هـذا التـوازن فـإن عدالـة الله تحـدد لـكل شـريك حقوقـه ومسـؤولياته، كمـا كتـب الدكتـور حاتـم الحـاج:

(بمجـرد الإخـلال بالتـوازن الدقيـق بيـن الحقـوق والمسـؤوليات، لـن تكـون قـادرًا علـى التنبـؤ بالنتائـج، ناهيـك عـن التحكـم فيهـا. أتمنـى أن يـدرك دعاتنـا الشـباب هـذا بينمـا يحاولـون جعـل الإسـلام أكثـر جاذبيـة للثقافـة الحديثـة السـائدة بشـكل شـرعي. علـى سـبيل المثـال، عندمـا تفـرغ القوامـة (مكانـة الـزوج كـرب البيـت) مـن معناهـا وتجعلهـا فقـط تعنـي المسـؤوليات دون الحقـوق المقابلـة، سـتبدو (معتـدلًا) وكـفء ثقافيـا. ومـع ذلـك، سَـتُخَلّ بالتـوازن الدقيـق الـذي أنشـأه العليـم الحكيـم. المجتمـع بأسـره سيعاني، لكـن أخواتنـا سيكن الأكثـر معانـاة)(٢٧).

(25) See Shaykh Abdal Hakim Murad, “Crisis of Modern Consciousness,” lecture at Masjid Negara, Kuala Lumpur, March 28, 2010, https://youtu.be/RWOKaOb33K4.

(٢٦) (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا) سورة النساء [٩]. (أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ) سورة الطلاق. [٦].

(27) Hatem al-Haj, “Once you disturb the delicate balance between rights and responsibilities, you will not be able to predict the results, let alone control them,” Facebook, January 4, 2017.

ما الذي يقدمه الآباء؟

يتطلب نموذج الوالدية الأساسي أن يكون لكلٍ من الوالدين دور أساسي، حتى وإن كان لا مناص من لعب أدوار الآخرين في مناسبات محددة. بناءً على هذه الفرضية، ننتقل الآن لاستكشاف المنافع التي يحصل عليها الأطفال من العلاقة مع والدهم التي تختلف اختلافًا كبيرًا عن تلك المستمدة من علاقتهم بوالدتهم.

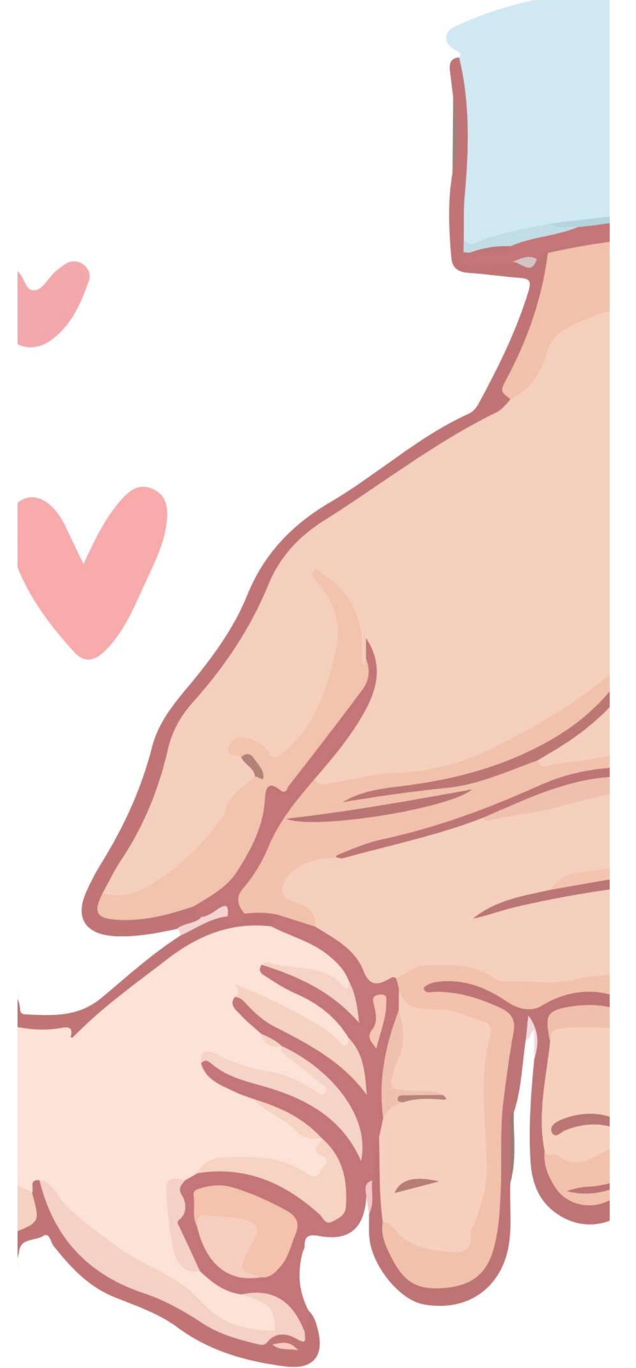
أولًا. السلطة الأبوية:

كون الأب حاضرًا ومتعاونًا ومشاركًا ومنخرطًا في الحياة الأسرية يضفي على المنزل هالة من النظام والانضباط. يلعب الآباء دورًا فعالاً في منع سوء السلوك وأحيانًا الأمراض النفسية لأطفالهم.

وفقًا لشيلدون وإليانور جلوك (١٩٨٠ و١٩٧٢، على التوالي) واللذين كانا من علماء الجريمة المخضرمين الذين درسوا جنوح الأحداث. لقد طورا (جداول للتنبؤ الاجتماعي) التي تنبأت باحتمال حدوث السلوك المنحرف في الشباب، ووصفت حاجة الأطفال النمائية للتعرض لكلٍ من الانضباط المناسب والتنشئة المحبة. هذا لا يوحي بالطبع أن الآباء دائمًا أفضل من يؤدبون، أو أن الآباء قد لا يتصرفون أبدًا كمسؤولين أساسيين عن تقديم الرعاية. من الناحية المثالية، سيتعاون كل من الأب والأم لتوفير المزيج المناسب من الانضباط والرعاية.

وبالنظر إلى أن أطفالنا هم انعكاس لنا، فإن ما يساعد على ضمان استفادتهم من السلطة الأبوية هو رؤية أمهم تحترم قيادة والدهم للأسرة. وبخلاف ذلك، سيبدأ الأطفال في استخدام أحد الوالدين للنيل من الآخر، وعندئذ قد يبتعد الأب في نهاية المطاف عن المشاركة الأسرية بسبب التهميش أو لمجرد تجنب الصراع.

وبينما يصبح بعض الرجال غير مرتبطين بالأسرة؛ لأنهم لا يشعرون بالمسؤولية، أو غير ماهرين في الاتصال الفعال وتسوية النزاعات، فإن حراسة البوابات من قبل الأمهات maternal gatekeeping هو أيضًا عامل آخر. ما لم يأخذ هذا بعين الاعتبار، فإن السلطة الأبوية تفقد بانسحابه، وبإمكان هذا أن يمهد الطريق لفترة طويلة من المعاناة لأطفاله.



وقد أجرت سينثيا هاربر وسارة مكلاناهان دراسة طولية لمدة عقدين من الزمن على ٦٤٠٣ فتى بلا أب تتراوح أعمارهم بين ١٤ و٢٢ عامًا في عام ١٩٧٩. ووجدوا أن انعدام الأب أدى إلى احتمال دخول السجن بشكل متوقع وأعلى بكثير في وقت لاحق من الحياة(٢٨). وفي الواقع، إن احتمالية أن يدخل الأولاد الذين ينشؤون في أسر ترعاها أم بدون والد السجن في مرحلة البلوغ تزيد بمقدار الضعف عن الأسر التي يرعاها أب وأم. ينطبق هذا على كل العائلات بغض النظر عن العرق.

وبما أن نموذج الإسلام «للقيادة الذكورية في الأسرة» كثيرًا ما يساء فهمه، فلنحاول توضيح هذا المفهوم هنا:

- هناك العديد من النصوص في القرآن والسنة تثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن الله هو الذي حدد هذا، لا (التقاليد الأبوية) أو محرفين متعجرفين. وبما أن الله يسمو فوق النوع الجنسي gender وفوق القابلية للخطأ فإننا سنسدي لأنفسنا خدمة باستكشاف الحكمة من هذا التحديد. ربما تكمن الحكمة من هذا أن الرجال لديهم قدرة أكبر على القيادة وأن النساء لديهن قدرة أكبر على الرعاية، ربما كلاهما على حد سواء أو أكثر من الآخر. في نهاية المطاف التسليم (الخضوع) هو جوهر الإسلام. وفي حين أن هذا لا يتطلب تعطيل التفكير، لكنه يعني أن قبول الإنسان فقط لما هو (منطقي) له، فإن إلهه ليس هو الله الخالق. كما يقول الله: (أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا). الفرقان. [٤٣].

- السلطة هنا ليست حكمًا استبداديًا. ولا جدال في أن الصورة الكاريكاتيرية النمطية للزوجات على أنهن عبيد جنس لا حول لهم ولا قوة ولا يحق لهم الحصول على الرأي ليس له أساس في الإسلام (يتم تناول إساءة استخدام السلطة لاحقًا في هذا الورقة). يصيغ الله الزواج في القرآن على أنه اتحاد للمودة والرحمة. الروم. [٢١]. والاحترام المتبادل. البقرة. [١٤٨].

أوضح الفقهاء المسلمون التقليديون كيف يمنح الأطفال درجات كبيرة من الاستقلال الذاتي وأن الزوجان يتمتعان بحرية كبيرة في التعبير عن فرديتهم. ويؤكد الفقهاء المسلمون كذلك على مدار ١٤ قرنًا أن واجب الزوجة تجاه زوجها مشروط بقيامه بواجباته تجاهها. (في ضوء الآية رقم ٢٢٨ من سورة البقرة). وبالتالي يمكنها معاقبته، أو فسخ الزواج إذا فشل في صونها. في الإسلام السلطة المطلقة لله وحده، لكن لصالح النظام الاجتماعي، خصص الله للبعض درجة من السلطة على الآخرين وطالب بالامتثال لها للصالح العام.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه فالإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه والرَّجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن أهلِه والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيَّتِها)(٢٩). ولأن الرعي يتطلب المسؤولية والقيادة، فمن الظلم تحميل أي شخص مسؤولية أي شيء ليس له سيطرة عليه.

- الزواج كثير الشبه بأي مؤسسة أخرى مشتركة؛ يتطلب سبل فعالة لمنع الجدالات التي لا نهاية لها، وجمود اتخاذ القرارات. في السنة النبوية نجد أنه: (إذا كان ثَلاثةٌ في سفَرٍ فليُؤمِّروا أحَدَهم)(٣٠).

فكم من الضروري إذًا أن تكون هناك آلية للقيادة لمنع مثل هذه المشاكل في رحلة الزواج مدى الحياة؟ تخيل مناظرة رئاسية لا تنتهي بقرار الشعب النهائي، بل عندما يتنازل أحد الطرفين للآخر. ومن هنا النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي عَلَّم الرجال طلب مشورة زوجاتهم(٣١) عبر الاقتداء به، علمنا أيضًا أن الله قد أذن للزوج باتخاذ القرار النهائي وبالتالي سيكون أكثر مسؤولية أمام الله بسبب هذا. وتمامًا كما أن وجود قائد بين المسافرين لا

(28) Cynthia C. Harper and Sara S. McLanahan, "Father Absence and Youth Incarceration," Journal of Research on Adolescence 14, no. 3 (September 2004): 369-97, https://doi.org/10.1111/j.1532-7795.2004.00079.x.

(٢٩) صحيح البخاري رقم [٦٧١٩]، صحيح مسلم رقم [١٨٢٩].

(٣٠) سنن أبي داود. ٨:٩٦٠.

(٣١) من المعروف على نطاق واسع في صحيح البخاري وفي أماكن أخرى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما انتهى من الصلح مع قريش وأمر أصحابه بالتوقف عن العمرة، ولما لم يفعلوا دخل -صلى الله عليه وسلم- على زوجته أم سلمة -رضي الله عنها- يشتكي من تقاعسهم. فقالت: (يا نبيَّ اللهِ اخرُجْ ثم لا تُكلِّمْ أحدًا منهم بكلمةٍ، حتى تنحرَ بُدْنَكَ وتدعوَ حلّاقَكَ فتحلِقَ!). عندما فعل ذلك، أدركوا أن الأمر لا رجوع فيه، وهكذا تبعه جميعهم البالغ عددهم ١٤٠٠ شخصًا. انظر صحيح البخاري، رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

يترتب عليه أي انخفاض في مكانة الآخرين، فعدم جعل الزوجة متعادلة مع زوجها لا يترتب عليه إهانة لها. وأخيرًا، يشدد تصنيف كامل من الأحاديث النبوية على الهروب من القيادة(٣٢)، ويقرر أن من يطلبونها غير مؤهلين لها(٣٣). عندما تفرض القيادة على شخص، الرجال في هذه الحالة، ينبغي أن يكونوا خائفين من عدم الوفاء بها، وأن بالتأكيد حسابهم سيكون مختلفًا عن الجميع، وأن يخلصوا في إرضاء الله ثم عائلاتهم. ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾. القصص. [٨٣].

ورغم أن إساءة استخدام السلطة تشكل واقعاً متفشياً في عالمنا، فإن الإسلام يعلمنا أن وجود السلطة (التي من دونها تنشأ الفوضى) ليس هو المعضلة. بل المعضلة تكمن في غياب أكبر الضمانات التي تحمي من التجاوزات البشرية؛ أي: الخوف من الله، وتنمية الضمير، وصدق الرغبة في فعل الشيء الصحيح، وإدراك حدود الله التي يجب احترامها وحمايتها في النطاق العام والخاص. وهذه أمور نادرة في عصر يكون فيه الإسلام مجرد هوية ثقافية للكثيرين، وبالتالي أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا يتعرضن للاضطهاد في كثير من بيوت المسلمين أمام أعيننا. ولكن في أي وقت وفي أي مكان يعتنق فيه الإسلام بشكل صادق، نجد أمثلة ساطعة تجسد كلمات النبي -صلى الله عليه وسلم-: (خيرُكم خيرُكم لأهلِه) (٣٤).

وفي النهاية، إذا لم يشهد الطفل هيكلًا واضحًا للسلطة في المنزل يجب أن يتقيد به، فإنه سيجد صعوبة في احترام القواعد، وفي الاعتراف بسلطة الله في حياته في بعض الأحيان. إن تنمية الشعور بالمساءلة وضبط النفس أمر ضروري للأطفال لتجنب العواقب غير المرغوب فيها. سبعون بالمائة من المراهقين في المؤسسات الإصلاحية للأحداث في الولايات المتحدة ينحدرون من بيوت لا أب فيها، ويعتبر هذا تسعة أضعاف المتسربين من المدارس الثانوية من أسر لا أب فيها. (انظر هذا الإنفوجرافيك).

http://fathers.com/wp39/wp-content/uploads/201507//fatherlessInfographic.pdf

هؤلاء كانوا أطفالًا لم يجدوا من يغرس فيهم تحمل الإحباط، أو يعودهم سماع كلمة (لا)، غير القابلة للتفاوض في بعض الأحيان. تعتبر هذه مساهمة في نموهم لا تقدر بثمن، وحجر الزاوية في تنظيم عواطفهم ومرونتهم، وكثيرًا ما يكون الأب هو من يقوم بهذا.

ثانيًا: العاطفة الأبوية

يعزز التعبير عن الدفء والحفاوة من جانب الأب من قدرته على أداء دوره الأساسي؛ فهو يوفر تأكيدًا غير لفظي أن الأب لا يؤدب الأطفال بدافع الكراهية، وإنما بدافع القلق الحقيقي. للعاطفة الأبوية أيضًا فائدة جوهرية للطفل؛ لأن الأطفال يتطلعون إلى أنواع مختلفة من الرعاية المحِبة، سواء من الأب أو من الأم. يصف ألفريد ميسير كيف أن (جوع الأب) غالبًا ما يصيب الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين عام وعامين وغاب عنهم آباؤهم فجأة وبشكل دائم. كثيرًا ما تبدأ اضطرابات

(٣٢) روى أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إنكم ستحرصون على الإمارة، وإنها ستكونُ ندامةً وحسرةً). صحيح البخاري، رقم [٦٧٢٩].

(٣٣) روي عن أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- أنه قال: (دَخَلْتُ علَى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَا وَرَجُلَانِ مِن بَنِي عَمِّي، فَقالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: يا رَسولَ اللهِ، أَمِّرْنَا علَى بَعْضِ ما وَلَّاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقالَ الآخَرُ مِثْلَ ذلكَ، فَقالَ: إنَّا وَاللَّهِ لا نُوَلِّي علَى هذا العَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عليه). صحيح البخاري، رقم [٤٦٣]. صحيح مسلم، رقم [١٧٣٣].

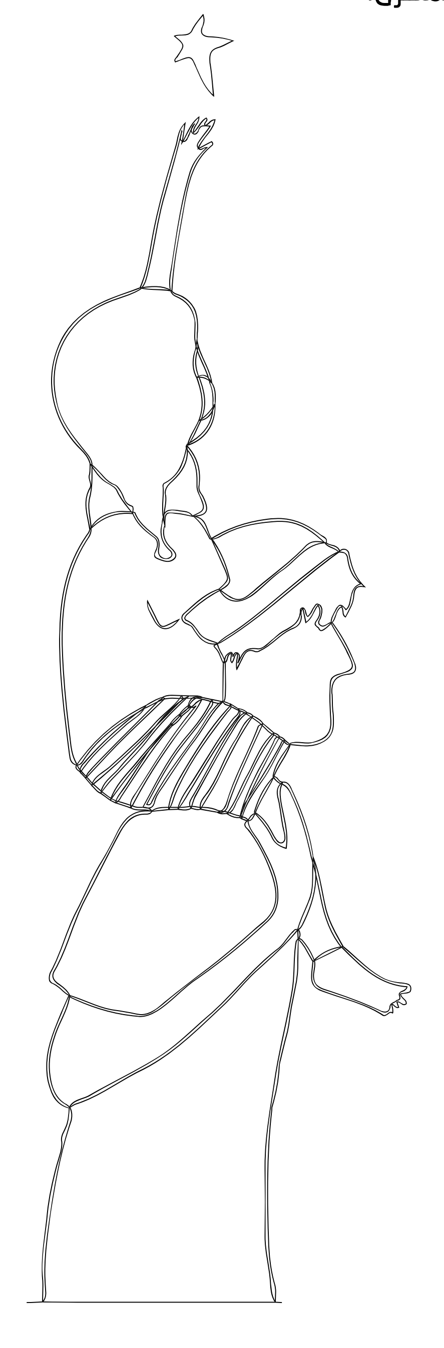
(٣٤) انظر الحاشية رقم ١٣.

النـوم؛ مثـل صعوبـة الخلـود إلـى النـوم، والكوابيـس، ونوبـات الرهـاب الليلـي فـي غضـون شـهر إلـى ثلاثـة أشـهر بعـد اختفـاء الأب مـن المنـزل(٣٥).

يخلـق الآبـاء الغائبـون فراغًـا عاطفيًـا، أيضًـا يتركـون الشـباب علـى وجـه الخصـوص عرضـة لاتخـاذ القـرارات علـى نحـو يتسـم بقصـر النظـر. فعلـى سـبيل المثـال، ثلثـي حـالات الحمـل فـي المراهقيـن تحـدث بيـن الفتيات مـن عائـلات بـلا أب(٣٦)، الكثير مـن هـؤلاء الفتيـات يسـعين إلـى الحـب الوقائـي الذكـوري، فـي حيـن أن الرجـال الذيـن ينجبون هـؤلاء الرضـع كان لديهـم دوافـع أخـرى تمامًـا. وعلـى نحـو مماثـل، يأتـي ٩٠٪ مـن الأطفـال المشـردين والهاربيـن مـن عائـلات لا أب فيهـا(٣٧). وبالنسـبة للعديـد مـن الشـباب، فـإن انتقالهـم إلـى مرحلـة البلـوغ يعرقلـه غيـاب نمـوذج الرجولـة فـي المنـزل. وكثيـرا مـا يرتبـط هـذا بمشـاعر الاغتـراب التـي تسـبب شـعورا بعـدم الكفايـة وتولـد حيـاة مـن الاسـتهتار والتمـرد، والتـي التقطـت مـن قبـل أمثـال رانـدي هكـس فـي كتابـه أزمـة التأكيـد: شـفاء جـراح جيـل لا أب لـه

The Affirmation Crisis: Healing the Wounds of a Fatherless Generation.

لكـن هـؤلاء ليسـوا الضحايـا الوحيديـن، فالآخـرون الذيـن شـعروا بعـدم القبـول مـن آبائهـم الحالييـن يعانـون مـن ميـل متزايـد لمحاولـة التعويـض عـن طريـق اللجـوء إلـى العصابات، والهـوس بألعاب الفيديو، ساعين مـن خلالهـم للحصـول علـى القبـول الـذي يفتقدونـه، والذيـن يحتاجـون إليـه ويرغبونـه. فـي ورقـة بحثيـة عـن عصابـات الشـوارع نشـرتها المجلـة الدوليـة لعلـم الاجتمـاع والأنثروبولوجيـا، يكتـب الباحـث سـتانلي تايلـور: (١ فقـط مـن أصـل ٨ مشـتركين فـي هـذه الدراسـة كان لديـه أب يعيـش فـي المنـزل. ونظـرًا لأن المشـاركين كانـوا مـن عصابات مختلفـة تمامًـا مـن مناطـق مختلفـة مـن لـوس أنجلـوس، فقـد أظهـر هـذا اتساقًا مفاجئًـا فـي «عـدم مشـاركة الآبـاء فـي حياتهـم كأطفـال»)(٣٨). يمضـي المؤلـف فـي إثبات أن جميـع المشاركين تقريبًا قالـوا إنهـم وجـدوا قبـولًا أكبـر فـي العصابـة وتـم الثناء عليهـم أكثـر مـن أي وقـت مضـى فـي المنـزل.



(35) Alfred Messer, "Boys' Father Hunger: The Missing Father Syndrome," Medical Aspects of Human Sexuality 23 (January 1989): 44–47.
(36) U.S. Department of Health and Human Services, press release, March 26, 1999.
(37)Edward Kruk, "Father Absence, Father Deficit, Father Hunger," Psychology Today, May 23, 2012, https://www.psychologytoday.com/us/blog/co-parenting-after-divorce/201205/father-absence-father-deficit-father-hunger; Normer Adams, "Why Dads Matter," Juvenile Justice Information Exchange, Kennesaw State University,June 20, 2010, https://jjie.org/2010/06/20/why-dads-matter/.
(38) Stanley S. Taylor, "Why American Boys Join Street Gangs," International Journal of Sociology and Anthropology5,no.8(December2013):339–49, http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.429.2209&rep=rep1&type=pdf

ثالثًا: الأمن المالي

في عام ٢٠١١ أفاد مكتب الإحصاء الأمريكي أن (١٢٪ من الأطفال في العائلات التي يعيش فيها الزوجان يعانون من الفقر، مقارنة بـ ٤٤٪ من الأطفال الذين يعيشون في عائلات تتواجد فيها الأم فقط)٣٩. وقد يتساءل المرء عما إذا كانت نسبة الـ ٥٤٪ المتبقية التي هربت من الفقر لم تتعرض للأذى. وبعيداً عن هذا؛ لا يزال جزء كبير من المنازل الآمنة ماليا بلا أب يعاني من الجوع العاطفي. بعد أن يدرك المرء ما يترتب على العاطفة الأبوية، يستطيع أن يتصور الحاجة الماسة إلى رحمة الأم التي لا مثيل لها. بالنسبة لكثير من الأطفال، يكون تأمين الموارد المالية على حساب وجود الأم المادي في المنزل. قد ينعكس هذا الجوع العاطفي في حقيقة أن ٦٩٪ من الوفيات الانتحارية تحدث في عائلات بلا أب.

أقر قضاة مسلمون من كل مدارس الشريعة الإسلامية على مر التاريخ بأن الأمهات يتمتعن بقدرة أكبر على تربية الأطفال ورعايتهم. ويتفق الفقهاء بالإجماع على أن (الأم هي الأكثر استحقاقًا للحضانة المادية لصغارها)(٤٠)في حالة الطلاق؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قضى بهذا الحكم بنفسه(٤١). ينبغي أن تكون الحكمة وراء ذلك واضحة. كما يصيغها بعض علماء النفس، أن الشخصية النسائية تحظى باستمرار بقدرٍ أكبر من القبول (التفكير: على استعداد للتضحية من أجل الطفل)(٤٢)، في حين أن الرجال عمومًا أكثر كدحًا (التفكير: موجه نحو المهام).

ومن ثم فإن تصور أدوار الأم والأب قابلة للتبديل تصور طائش لا ينبغي أن يمر دون اعتراض. أما عندما تجبر ظروف الحياة أي من الوالدين على القيام بدور مزدوج، فهذا هو الوقت الذي نحتاج فيه إلى تذكر أيتام استثنائيين في تاريخ العالم بعضهم من أنبياء الله، وكيف يمكن أن يتدخل الله أحيانًا ليعوض، وأن الله وحده هو الذي لا يمكن الاستغناء عنه.

أين يجب على الرجال أن يتصرفوا برجولة؟

أولًا: إحياء القيادة النبوية.

يجب على الرجال أن يتولوا مهمة السيطرة على غرورهم. كلف الله الرجال بالقيادة لصالح الأسرة، لا من أجل مصالح أنانية. حتى لو كانت القلوب في المكان الصحيح، يتمرد الناس عندما لا تكون لديهم مساحة للتنفس أو يقيدوا. يجب أن نتذكر أن نفس الرجل -صلى الله عليه وسلم- الذي أخبرنا أن الرجال هم أرباب عائلاتهم أرانا أن كونك رأس العائلة يعني أن تخدم، وتحمي، وأن تكون مصدرًا للدعم- وهي واجبات والتزامات سيسأل عنها الرجل أمام الله. وصفت السيدة عائشة -رضي الله عنها- النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه كان شخصًا يصلح ثيابه بنفسه، ويحلب أغنامه، ويخدم نفسه.(٤٣) في صحيح البخاري تحت عنوان: كيف ينبغي أن يكون الرجل مع أهل بيته، نجد السيدة عائشة -رضي الله عنها- تشهد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان «في مهنة أهله» في بيته(٤٤). وتفوق -صلى الله عليه وسلم- في العفو عن أي انتهاك لحقوقه، وتفوق على الجميع في كبح غضبه. ولما أخبر أنه لا يوجد في المنزل طعام كان يقول ببساطة -صلى الله عليه وسلم- إذًا أصوم(٤٥).

---

(39) Children's Living Arrangements and Characteristics: March 2011 (Washington, DC: US Census Bureau, 2011), Table C8.

(40) Salah al-Sawy, "Family Code for Muslim Communities in North America," presented at The Assembly of Muslim Jurists of America's 8th Annual Conference, Kuwait, March 2012, https://www.amjaonline.org/declaration-articles/the-assemblys-family-code-for-muslim-communities-in-north-america/.

(٤١) روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنَّ امرأةً قالت يا رسولَ اللهِ إنَّ ابني هذا كان بطني له وِعاءً وثديي له سقاءً وحِجري له حِواءً وإنَّ أباه طلَّقني وأراد أن ينتزِعَه منِّي فقال لها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (أنتِ أحقُّ به ما لم تَنكِحي). سنن أبي داود، رقم [٢٢٦٩]. حسنه الألباني، في إرواء الغليل، رقم [٢١٨٧].

(42)Alan Feingold, "Gender Differences in Personality: A Meta-Analysis," Psychological Bulletin 116, no. 3(November 1994): 429-56.

(٤٣) مسند أحمد، رقم [٢٤٩٠٣]. حسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم [٤٩٣٧].

(٤٤) صحيح البخاري، رقم [٦٠٣٩].

(٤٥) صحيح مسلم، رقم [١١٥٤].

كما ترك أولئك الذين أرشدهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أيضًا أمثلة ساطعة عن كيف يمهد القادة الحقيقيون بشخصياتهم المثالية طريقًا إلى قلوب الناس. شدة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كانت معروفة للجميع، لكن بدا أن الناس يقتنعون بصلاحه أكثر من اقتناعهم بصلابته. لقد شعروا أن الواقف أمامهم شخص صادق حقًا، شخص كان قاسيًا على نفسه أكثر من قسوته عليهم. جزء لا يتجزأ من مثاله الوصفة التي يسعى لها كل رجل يريد لعائلته التعاون. في بعض الأحيان نشجع دون قصد التمرد في منازلنا، من خلال عدم الامتثال السافر لأوامر الله. إذا اشتهر الزوج في بيته بترك الصلاة أو التكلم بألفاظ نابية أو مشاهدة عروض غير لائقة أو التصرف بعنف، يقلل هذا من فرص أن يؤخذ على محمل الجد عندما يرشد أسرته أو يحضها على الالتزام الاختياري بآية قرآنية أو حديث نبوي. القادة يقودون بالقدوة.

ظاهرة أخرى مؤسفة في هذا الصدد وهي عندما يعيق الولي (الوصي الذكر) زواج بناته من الخاطبين المتوافقين. يمنع القرآن(٤٦) بوضوح مثل هؤلاء الرجال من استغلال سلطتهم في دفع الرجال المحترمين والشرفاء عن طلب يد النساء اللاتي تحت رعايتهم. (عادة بناتهم). هذا العناد يتعارض مع الدور الفعلي للولي؛ وهو تسهيل الزواج من الخاطب المتوافق، لا إعاقته. قال الشيخ العثيمين، وهو فقيه سعودي كبير: (والفقهاء -رحمهم الله- ذكروا أنه عندما يرفض الولي مرارًا وتكرارًا خاطبًا متوافقًا فإن ذلك يجعله فاسق (آثم فظيع)، ومصداقيته في الشهادة) الوصاية مرفوضة. وفي الواقع، يصبح غير مؤهل كإمام وفقًا للموقف المعروف جدًا للمدرسة الحنبلية، حيث لا يستطيع أن يقود المسلمين كإمام لهم في صلاة الجماعة، وهذا أمر خطير)(٤٧).

ثانيًا: استعادة العاطفة الذكورية.

ومع أن الله جعل تلقي رحمته مرهونًا بسعة الرحمة لتشمل الجميع٤٨، فقد أكد على ذلك بصفة خاصة في حالة الصغار لأسباب واضحة. فحجب عبارات الحب والمودة عن الأطفال، أو ترك هذا للأم وحدها، يمكن أن يكون مدمرًا. عندما شهد الأقرع بن حابس -رضي الله عنه- النبي -صلى الله عليه وسلم- يقبل حفيده، تباهى بأنه لم يقبل أي من أبنائه العشرة أبدًا؛ فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: (وما أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟ من لا يرحم لا يرحم)(٤٩).

في الولايات المتحدة وحدها ٢٠ مليون طفل ليس لديهم أب حاضر بشكل جسدي يدعمهم ويمسح دموعهم، وملايين آخرين لديهم أب موجود جسديًا لكنهم يجدونه عاطفيًا بدون إحساس أو غائب. حتى في المجتمعات الإسلامية نجد أحيانًا مفاهيم غريبة عن الرجولة المتحفظة التي تتناقض بشكل صارخ مع النموذج النبوي. ويعزى ذلك عادةً إلى المفاهيم الثقافية التي تمنع من عناق الأولاد أو إلزامهم بقمع عواطفهم.

لكن عند الرجوع إلى النموذج النبوي، نجد في السنة أن الرجل الأكثر رجولة في كل العصور علم الرجال أن يلينوا قلوبهم بمسح رأس اليتيم(٥٠)، ونجده يحمل أسامة والحسين -رضي الله عنهما- بلطف، ويقول: (اللهم إني أحب هذين، فأحبهما)(٥١). هكذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- مزيجًا رائعًا من اللين في المنزل والشجاعة في ساحة المعركة. وفي الواقع، فإن سعد بن عبادة -رضي الله

---

(٤٦) البقرة، [٢٣٢]، والنساء، [١٩].

(٤٧) محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند، فتاوى إسلامية، (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٥).

(٤٨) روى أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم)، قالوا: (يا رسول الله كلنا يرحم)، قال: (ليس برحمة أحدكم صاحبه يرحم الناس كافة). مسند أبي يعلى، رقم [٤٢٥٨]. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم [١٦٧].

(٤٩) صحيح البخاري، رقم [٥٩٩٨]، صحيح مسلم، رقم [٢٣١٨].

(٥٠) مسند أحمد، ٢:٢٦٣، وانظر السلسلة الصحيحة، رقم [٨٥٤]، وصحيح الجامع، رقم [١٤١٠] للوقوف على صحته.

(٥١) صحيح البخاري، رقم [٣٧٤٧]، وأماكن أخرى.

عنه- عانى مرة ليفهم كيف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي علمهم قبول أقدار الله، كانت الدموع تنساب على وجهه وهو يراقب حفيده يحتضر. ولتحويل حتى هذه اللحظة إلى لحظة قابلة أن يُعَلمّ فيها، فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (هذه «الدموع» رَحْمَةٌ يَضَعُها اللَّهُ في قُلُوبِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، وإنَّما يَرْحَمُ اللَّهُ مِن عِبادِهِ الرُّحَماءَ)(٥٢).

في بعض الأحيان يستخدم الآباء القسوة مع أبنائهم معتقدين أن هذا ضروري «لجعلهم أكثر صلابة». يشجع الإسلام الأولاد على تطوير القوة البدنية، والصلابة الشاملة، ولا يُعَلّم أن شجاعة الذكور وميولهم الوقائية مجرد مفاهيم اجتماعية. ومع ذلك، فإن خارطة الطريق المتوازنة إلى هذه الفضائل ما يضمن أنها محققة لكن بعيدة عن أن تصبح رجولة سامة. التأكيد على المودة الأبوية أحد مكونات ذلك التوازن الإلهي. فالخشونة المفرطة من الممكن أن تؤدي في الواقع إلى انعدام القدرة على التحمل والصلابة التي يخشون على أبنائهم منها؛ وذلك لأنها تغرس في النفس عدم احترام الذات، وتهيئهم للاستسلام، والخنوع، والتنمر، والإذلال. وتزداد احتمالية حدوث ذلك أثناء مرحلة الطفولة، عندما تكون قابلية الشخصية للتطويع في أوجها.

النتيجة السلبية الأخرى للمعاملة القاسية، أنه عندما يجرد الأطفال من تعاطفهم الفطري يمكن أن يحولهم هذا إلى تهديدات خطيرة. لاحظ ألبرت باندورا من جامعة ستانفورد، مؤلف كتاب عدوان المراهقين، أن الجامحين عادةً ما يعانوا من غياب العاطفة الأبوية.

ثالثًا: الواجب المالي المقدس.

بالنظر إلى أنه لا أحد يريد أن يضطر للاختيار بين تلبية الاحتياجات العاطفية لأطفاله في مقابل الاحتياجات المالية، يجب أن نفترض أن بعض النساء اضطررن إلى تولي دور العائل الأساسي بعد أن أهمل أزواجهن هذا الواجب. قد يلعب عدد لا يحصى من الأسباب دور في تخلي الرجال ماليًا عن أسرهم، وسنتناول اثنين منها:

- يشترط كثير من الرجال التقدير مقابل الخدمة، وكنتيجة طبيعية يؤدي نكران الجميل إلى توقف الخدمة. بالتأكيد حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- النساء بشدة من أن يكن ناكرات لجميل أزواجهن، لكن من منظور واجبات الرجال يتجلى هنا اتساق العمل بإخلاص من أجل رضا الله. لا ينبغي على الرجال أن يعيلوا عائلاتهم لأن العائلة تشكر له هذا، بل لأننا مفلسون وبحاجة إلى رضا الله. وينبغي أن نتذكر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (دِينارٌ [عملة ذهبية] أنْفَقْتَهُ في سَبيلِ اللَّهِ ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، ودِينارٌ تَصَدَّقْتَ به على مِسْكِينٍ، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ على أهْلِكَ، أعْظَمُها أجْرًا الذي أنْفَقْتَهُ على أهْلِكَ)(٥٣). قد يتساءل المرء لماذا الإنفاق على أسرنا عمل يحظى بمكافئة عالية في الإسلام. من أجل استقرار المنزل، يقول الله للعائلين أنا أعلم أن أعمالكم وراء الغرف المغلقة ربما لا تكون موضع تقدير، لكن لا تستسلموا أنا أقدركم.

- بعض الرجال يستغلون زوجاتهم ببساطة، ويجعلونهم يشعرن بالذنب (لوجودهن في البيوت طوال اليوم) و(عدم مساعدة الأسرة في شيء). هؤلاء الرجال قد اقتنعوا بالضجيج المادي الذي يرى المال فقط ما له قيمة وأن تكديسه أمر جدير بالإعجاب. وقد خُدِعوا لجعلهم يتصورون أن الزوجات والأمهات ربات البيوت أناس كسالى يعيشون من أجل النميمة والمسلسلات التلفزيونية. ولا ينبغي لأي مسلم محترم أن يتسامح مع هذه التصورات المقولبة المعممة، ناهيك عن طرحها، خاصةً بعد أن حملت زوجته على عاتقها جهاد الأمومة. (الأم

---

(٥٢) صحيح البخاري، رقم [١٢٨٤]، صحيح مسلم، رقم [٩٢٣].

(٥٣) صحيح مسلم، رقم [٩٩٥].

العاملة) بالتأكيد عبارة زائدة عن الحاجة. الأم هي المعلمة الأولى للطفل، التي تُعَلم من خلال تفاعلاتها اليومية مع الطفل التي تبدو عادية لكن عميقة، ومن خلال المحادثات المبكرة مع ذلك الطفل، عندما يكتشفون تحت أجنحة الأم ما يعنيه حقًا أن تكون إنسانًا. التوقع من الأمهات أن يكسبن أجورًا بالخارج كقاعدة أساسية بينما يقمن برعاية الأطفال أمر غير عادل بالنسبة لهن ولأطفالهن، مثلما هو الحال بالنسبة للطلب من الآباء كقاعدة أن يبقوا في المنازل ويصبحوا الرعاة الأساسين ويقوموا بتسخين مخزون حليب الأم فهو غير عادل بالنسبة لهم ولأولادهم. نذكر مرة أخرى هنا أن الاستثناءات في أوقات الحاجة مستبعدة هنا. ويجب ألا يتصور المرء أن المسؤوليات البيولوجية والاقتصادية للمرأة والرجل يمكن أن تتبدل بشكل كامل. ولا يجب أن نطلب من النساء الخروج والعمل، مثلما سيكون من السخيف أن نطالب الرجال بإنجاب الأطفال. ومرة أخرى لا نقول إن الأم لا ينبغي لها أبدًا أن تساهم خارج المنزل، بل ينبغي على الرجال ألا يتوقعوا منها ذلك، مثلما ينبغي عليها ألا تختار هذا على حساب أطفالها.



كلمة فراق

قد تم توضيح الحقوق والحقائق التي لا جدال فيها التي منحت على وجه التحديد للمرأة مع مجيء الإسلام في مُؤَلف آخر صدر عن يقين بعنوان:

"We Used to Have No Regard for Women: Gender Equity & the Advent of Islam"(٥٤)

لتوضيح أن الحضارة الإسلامية سارت على هذا الهدي قبل أكثر من ألف سنة من قيام الحضارات الغربية بذلك.

على سبيل المثال لم تتمكن النساء في الولايات المتحدة من دخول سوق العمل إلا خلال الحرب العالمية الثانية، بينما الحاكم الثاني بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- عين امرأتين لإدارة وتنظيم السوق خلال القرن السابع. وكان من المعروف أيضا في ذلك الوقت أن المرأة المسلمة تصحح علنا لنفس الحاكم وقائد الدولة، حيث قبل ذلك التصحيح. كانت آراء النساء يسعى إليها بنشاط إلى جانب آراء الرجال عند اختيار خليفة لقائد الدولة على مدى ألف عام، قبل أن تعطى الحق التصويت بموجب الدستور في الولايات المتحدة دون الاضطرار إلى النضال من أجل هذا الحق الأساسي (غير القابل للتصرف).

مذهل! هذه هي المكانة والاحترام التي أعطيت للمرأة من قِبل الإسلام، ولم يعرف قط أن أي واحدة من الصحابيات اشتكت من الإسلام، أو الوحي، أو الطريقة التي طبقه بها النبي -صلى الله عليه وسلم-. في واقع الأمر العكس هو الصحيح، قد شعروا بدعم وتحرير من قِبَله أكثر مما كانوا يتخيلونه لأنفسهم.

وبمجرد الاعتراف بهذه المبادئ الملزمة، أي التفرد بين الجنسين، ولكن الإنصاف، يمكن للمناقشة بعد ذلك أن تنفتح على الوحدة الأساسية للمجتمع، وهي الأسرة. لا يمكن التقليل من أهمية الأسرة المكونة من والدين، التي تعطي كل منهما ما له من حقوق ومسؤوليات واجبة من الطرف الآخر.

---

(54) Maryam Al-Dabbagh, "We Used to Have No Regard for Women: Gender Equity and the Advent of Islam,"
Yaqeen Institute for Islamic Research, July 17, 2019,

https://yaqeeninstitute.org/maryam-al-dabbagh/we-used-to-have-no-regard-for-women-gender-equity-the-advent-ofislam/#ftnt2.

والـدان يعمـلان بكامـل طاقتهمـا مـن المحتمـل أن يكافحـوا مـن أجـل تجهيـز أطفالهـم ليكونـوا قادريـن علـى الصمـود فـي وجـه العواصـف التـي تلـوح فـي الأفـق والتـي سـوف يواجهونهـا فـي حياتهـم.

يؤمـن المسـلم أن هـذه الصعـاب لا يمكـن التغلـب عليهـا إلا بعـون الله، ويناشـد الله أولًا بالامتنـان لـه، واعتنـاق توجيهاتـه المعينـة التـي أنعـم بهـا علينـا.

فالمسـلم يـدرك أن التهديـد بفقـدان المـرء لعقيدتـه أعظـم مـن خطـر التهديـد بالفقـر، والمخـدرات، والتشـرد، والانتحـار. وليـس ذلـك لمجـرد أن الدراسـات الموثوقـة تكشـف أن التربيـة الدينيـة أفضـل لصحـة الأطفـال ورفاههـم، بـل لأن توفيـر الرعايـة لهـم فـي هـذا العالـم أمـر ثانـوي لتوفيـر السـلامة والرفـاه لهـم فـي الحيـاة القادمـة، وهـو أمـر أعظـم وأكثـر دوامًـا. (ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ). الرعد. [٢٦].

لذلـك فـإن المسـلم علـى يقيـن أن الله لا يخيـب ظنـه، وأن القـرآن كذلـك حبلـه المؤكّـد الـذي يمـدّه لينقـذ كل مـن يمسـك بـه. المسـلم يثـق فـي أن أفضـل طريقـة لإيجـاد الإرشـاد بالنظـر إلـى الأعلـى نحـو السـماء، بالتأكيـد لا مـن خـلال النظـر حـول أولئـك الذيـن يقومـون بالتجربـة فـي الظـلام.

* المقال من منشورات معهد يقين:

https://yaqeeninstitute.org/

* رابط المقال الأصلي:

https://yaqeeninstitute.org/read/paper/gender-uniqueness-in-islam-and-the-significance-of-fatherhood